أَميــر الصَمتْ

دَخلَ مِن بَوابَةِ المَدّرَسة بِوجههِ البَشُوشْ، مُشرِقَاً بِأَملٍ يَكفي العَالم بِأَكمَله، دَخل دُون أَن يُعيره أحد اهتماماً , بِالرغم مِن ذَلك كَان وَاثق الخُطى يُدير رَأسه يَميناً ويسَاراً بَاحثاً بِعينيهِ عَن شيءٍ مَا !!! جَلس في أَحد الجَوانب في صَمتٍ شَامخ وَسط ضَجِيج التلاَميذ بِفنَاء المَدّرَسة، فَجّأة !!! اتَسَعت عَيناه فَرحاً وقَفز مِنْ مَكَانه، لَقدْ رَأي **نور** يَدخُل مِن بَوابة المَدرسة مُتجهاً نَحوَهُ بابتسَامته الهَادئة، سَلّمَ كُل مِنهُمَا عَلى الآخر ودَار بينَهُما حِوار بِلغة مُختلفة ، بِدت حميمية ودودة ، كَادت تَكون صَامتة لَولا صَوت اِنطلاق ضَحِكَاتهمَا التي امتَزَجتْ بَصَخب الفَنَاء مَن حَولَهُمَا، إلى أَن قَاطعهُمَا التَنويه عَن إعلان نَتيجة العَام الدرَاسي.

وفِي وَسط جِمُوع التَلاَميذ وَقفَا بانتبَاه، يَملأ عَينَيهُما الشَغف والتَرَقّب في انتِظَار النَتيِجَة، كَان التَفوق حَليفَهُمَا كَالعَادة، فأشَار **نور** لصَدِيقه بِاللُغَة المُختَلِفة ذَاتهَا يُهَنِئَهُ بِنَتيِجَتهُمَا، لِيَقفزَا مَعاً فَرحاً بِتفَوقهما وصدَاقتهمَا الجَميلَة، صَداقة يَتَحدثْ عَنهَا الجَمِيع، جَمعت بَين **أمير** الطَالب الأَصم الذي التحق بِمدرسَة عَادية للسَامعين المُتكلمِين، ونور الطَالب السَامع المُتَكلم الذي أَحب أمير مُنذ أَول لِقاء لَهُمَا في المَدّرَسة، فأَمير ذَلك الطفل الذي جَاء للحَياة وَسط سَعادة الأَبَوُين بِولاَدته ولَهفتهمَا لِيوم سماع صوته بأجمل الكَلِمَات في العَالم .. ماما ... بابا ... يبدآن في اللعِب والنِداء على الأمير الصَغِير، لَكِنَهُما يُلاحِظَان شَيئاً غَريباً مَع الأيَام، أَميرنَا لاَ ينتبه لصوت النِداء !!!

ومَع مرُور الوَقت يُعلن أنَه مِن عَالم الصَمتْ، يَقْع الخَبر عَلى الأبَوَين كَالصَاعِقَة، لَكِنهُما يَسْتَوعِبَانه بِفَضل إيَمانهُمَا بِالله، فَيحَاوِلان الاطِلاَع والسُؤال والتَحاور وزِيارة الأطِباء والمُتَخِصصين، لِيَعرِفَا كَيف يَبنِيَان جسُور التَوَاصُلْ بَينهُما وبَين أمِيرَهُمَا الصَغِير، وكَيف يُعَلِمَانه أنَ يَبنِي جسُور التَواصُلْ مَع الحَياة، ولَيس أفضَل مِن التَخاطُبْ طَرِيقاً لِذَلك التَواصل، وتَعلِيمه لُغَة الشِفَاه لِيَفهَمْ مَا يَدوُر مِن حَوله، ولَم يتَجاهَلا تَعلِيمه لُغَة الإشارة لِيتَواصل أيضاً مَع رفَاق الصَمتْ.

يَكبر أَمير بِضع سَنوُات تُؤَهِلَهُ لَدخُول المَدّرَسَة، وَيَحتَار الوَالِدَان فِي اِخْتِيَار الطَرِيق الأفضَل لصَغِيرهُمَا، فَإما طَرِيق العلم في مَدارس الصُمْ، وإمَا الطَرِيق الذي سَلكاه وكانَا يتمَنيان أن يَسلُكَه الأمير الصَغِير، وهُو التَعليم العَام بِكل مَا فيه مِن عَالم الضَجِيج. بَعد بَحث وتَفكِير يَستَقِران عَلى الطَرِيق الأخِير، لَيس رَفضَاً أو هُروبَاً مِن وَاقع أَمِيرَهُما الصَغير، ولَكن إيمَاناً بِقدرَاته. بَدأ أمير أُولَى خَطَوَاته، فَلم يَكن الطَرِيق مُمَهَداً لَه بَل كَان مَفرُوشَاً بِالمَصَاعِب، في المَدّرَسة التي قَبِلَتهُ بصعوبة بَالغة ... كَانتْ عِيُون الجَمِيع تَنظُر إِليهِ كَأنَهُ مِن عالَم آخر ، وعِيُونه الصَغِيرة تَقُول أنَا مِثلَكم ولَكنِي فَقط أتَكلم لُغَة أخرَى ... لُغَةْ عَالمْ الصَمتْ.

تَجَاهَله الجَمِيع كَأنَه نَوع مِن إعْلاَن الرَفض لَوجُوده واعِتبَاره مِن عَالمْ آخر مُخْتَلِف عَنهُم، كَان يَتأمّل الجَمِيع ويحَاوِلْ الفهمْ والتَعلُمْ، لِكنَهُم لِم يُحَاوِلُوا بِنَاء أيّ جسُور مِن التَواصُلْ مَعهُ، كَادَ يُدَاهمهُ الشّعُور بِالحُزنْ والوِحدَة لِولاَ اِنضمَام ذَلك الطَالِبْ الجَدِيد للصَفْ .. إنَهُ **نُور**، الَذِي اَسْتَقبَله أَمير بِابتسِامَته الوَدُودَة، مَدّ يَدَيهِ الصَغِيرتَينْ يُصَافحهُ وَيدّعوُه للجلُوس بِجَانبهُ، لِتَبدأ بَينَهُمَا صَدَاقة جَمِيلة كَانَتْ الابتِسَامة هي مِفتَاحِهَا وطَرِيقَهَا، بَدآ يتَواصَلان بِبَراءة الأَطفَال، تَكَلم **أَمير** بِشَفَتَيه فَسَمِعه قَلّبْ **نُور** الصَغِير ، ومَع مِرُور الوَقت تَعَلّم **نُور** مِن صَدِيقَه بَعض الإِشَارَات ...

أَحيَاناً كَان يَصعُبْ عَلى **أَمِير** فِهمْ الكَثِير دَاخل المَدّرسة إلاَ أَنّ وَالدَيه كَانَا دَائِمَاً طَوقَ النَجَاة لَهُ، فَبعد كُل يَوم دِرَاسي فِيهِ الكَثِير مِن الطَلاَسِم وعَلاَمَات الاستفهام يَذّهَب إلَى البَيت لِيَجد الإِجَابَات بِفَضل مُسَاعَدتهِمَا ودَعمَهُمَا لَهُ، حَتّى إَنه اِستَطَاع مُسَاعَدة **نُور** فِي التَغلُبْ عَلى مُشكِلَتَهُ فِي صُعوبَة الحِفظ وسُرعَة النِسيَان بِفضل لُغَة الإَشَارة **!!!** نَعمْ ... كَان يُتَرجِم **أَمير** لِصَدِيقَه النّصْ بِلُغَة الإِشَارة فَسَاعَدهُ عَلى الحِفظ وسهُولَة الاسترجَاع، هَكذَا كَانت صَداقتهمَا مِثَالاً صَغِيرَاً لِنَسيج مُجْتَمع مُتَفاعِل يَقبل الاختِلاف ... فَبعض الاختِلاف تَميز، إلاَ أنهُ رَغم تَفوقَه ظَلّ يُرَاوِدَهُ دَائِمَاً سُؤال ... **!!!؟؟؟** إلى أَن قَابَل صَدِيقَه الأصم الذِي يَتعَلم بِمَدّرسة الصُمْ وضِعَاف السَمع.

كَان اليَوُم إعلان النَتِيجَة بِمَدرَسته أيضَا، عِندَمَا سَألَهُ عَن نَتيجتَه فَأجَابَهُ بِضحكَه حَزِينة: نَجحتْ رَغم أنَنِي لاَ أُجِيد القِرَاءة والكِتَابة **!!!** لِيتسَاءل أمير بِدَهشة: كَيفْ **؟؟!!** لِيُجِيب الصَدِيق الأصم بِحُزن: فِي مَدرَستِنَا لاَ نَفهَمْ شَيئاً، فَالمُعَلِمُون لاَ يُجِيدُون لُغَة الإِشَارة، نَنّسَخ مَا يَكتِبُوه لَنَا دُون فِهم، وفِي الامتَحَانَات يُملُون عَلينَا الإِجَابَات، وكَأنهُم يَنّظرُون لَنا بَأنّهُ يَكفِينَا تَعلّم كِتَابة أَسمَائِنَا فَقط. سَكتَ الاثنَان لَحظَة كَأنّهَا دَهر .. لِيَستكمل الصَديق الأَصم مُستَدرِكَاً: أليسَ مِن حَقِنَا أَن نَتَعلّم**؟؟؟!!!**، شَردَ أَمير قَلِيلاً ... فَقد عَرفَ الآن فَقط إِجَابة سُؤَالِه ...

مَشَى الاثنَان برؤوس مَرفُوعة للسَمَاء وقِلُوبْ تَدّعُو ... بِوَاقع وتَعلِيم أَفضَل للصُمْ .